الفصل الثاني

نبذة عن تاريخ
الشتات اليهودي

لقد تعرض الإسرائيليون، واليهود من بعدهم إلى أكثر من عملية تهجير وسبي عبر تاريخهم، كان أهمها، وأولها السبي الآشوري سنة ٧٢١ق.م، حيث تم ترحيل الآلاف منهم، وإسكانهم في مناطق متعددة من الشرق الأدنى القديم، ثم السبي البابلي، والذي تم على عدة مراحل، ومن لم يسبَ من سكان يهوذا إلى بابل، فر إلى مصر، ولكن الضربة الكبرى التي تعرض لها اليهود كانت على يد الرومان سنة ٧٠ للميلاد، وتبعتها ضربة أخرى سنة ١٣٥م، حيث من هناك تناثروا، أو تشتتوا في أرجاء الإمبراطورية الرومانية التي كانت ممددة عبر القارات القديمة الثلاث، وبخاصة في قارة أوربا.

وقد تعرضت الجماعات اليهودية بعد سنة ٧٠ للميلاد إلى بعض الاضطهادات في أنحاء متفرقة من الإمبراطورية الرومانية، كما عانى المسيحيون أيضا نفس الاضطهادات بصفتهم فرقة يهودية، وعلى الرغم من أن الجماعات اليهودية، والمسيحية كانت تتعرض إلى اضطهادات مشتركة على اعتبارهم جماعات دينية، فقد كان هناك تنافس، وعداوة دينية بين الجماعات اليهودية، والمسيحية، ولكن تنصر، أو تمسح السلطة الرومانية على يد الإمبراطور قسطنطين، جعل الاضطهادات الرومانية للجماعات اليهودية، اضطهادات ذات طابع ديني (مسيحي)، وأولى الاضطهادات الرومانية المسيحية جاءت في عهد الإمبراطور قسطنطين الذي أمر بمنع التبشير اليهودي، وإغلاق المعابد اليهودية، ومنع تقديم الأضاحي، ومنع ختان عبيد اليهود، ومنع اليهود من الدخول إلى أورشليم (إيليا كابتولينا) إلا لمرة واحدة في السنة للبكاء على حائط المبكى في الذكرى السنوية لسقوط أورشليم يوم التاسع من آب مقابل دفع ضريبة على ذلك.

وفي عهد الإمبراطور كونستانس تم طرد اليهود من مقاطعة يهودا، ومن طبريا، وحتى من فلسطين كاملة، كما حرم اليهود من حقوق المواطنية الرومانية، وفي عهد غالوس ابن شقيق كونستاس تململ اليهود قليلا، وكما لو أنهم سيقومون بحركة تمرد واسعة، لكن

السلطة في روما قامت بقمعهم بشدة، وتم قتل الكثير من النساء والشيوخ والأطفال في فلسطين، وهدمت الكثير من منازل اليهود في طبريا، أما صفورية فتم مسحها مع الأرض.

وفي عهد الإمبراطور فوكاس قام اليهود في إنطاكية بالهجوم على المسيحيين وذبحوا البطريرك، فقام الرومان بالرد عليهم وقاموا بذبح وطرد الكثير منهم.

وعندما قام الملك الفارسي خسرو الثاني بشن الحرب على البيزنطيين، شكل اليهود مجموعة عسكرية أثناء تلك الحرب، وقد قام الجنود اليهود بقيادة بنيامين الطبري بالانتقام من المسيحيين في فلسطين وقاموا بحرق الكنائس، والأديرة، كما قاموا أيضا بنهب مدينة أورشليم، وقد نعمت ولاية اليهودية لمدة أربعة عشر عاما بإدارة شبه مستقلة، وفي تلك الفترة تهوّد الكثير من مسيحيي فلسطين، وعندما تسلّم هرقل السلطة اتفق مع بنيامين الطبري على شن حرب ضد خسرو، مقابل أن يعطي اليهود بعض المميزات، ولكن هرقل، وبعد أن استعاد المقاطعات البيزنطية، نكث بوعده بتحريض من المسيحيين.

ولما تسلّم الإمبراطور جوليان الذي ارتد عن المسيحية، أراد أن يعيد بناء هيكل أورشليم، ولكن اليهود لم يكونوا متشجعين لهذا العرض، لأن إعادة بناء الهيكل، في تلك الفترة، قد ارتبط بشكل لاهوتي بمجيء المسيح.

وإلى جانب هذه الأحداث، فقد كان اليهود يقومون بأعمال تبشيرية في الأماكن التي يصلون إليها، وقد ساهموا، أو كانوا عنصرا مهما في تشكيل مملكة الخزر التي تكونت من ائتلاف جماعات وثنية مغولية كانوا قد قدموا في القرن الأول الميلادي من آسيا عبر شمال بحر قزوين، واستقروا في شرق أوربا، وانضمت إليهم جماعات تركية، وفنلاندية، وهناك استطاعوا أن يستوطنوا، ويتمددوا عبر الغزوات، ويسيطروا على المنطقة الواقعة غربي جبال الأورال، وشمالي البحر الأسود في القرن الثاني الميلادي، وقد قدمت جماعات يهودية إبان الاضطهاد البيزنطي أثناء حكم جوستنيان الأول (٥٤٧ - ٥٦٥م)، وأثناء حكم هرقل في القرن السابع الميلادي، وقد انضموا إلى جماعات يهودية قديمة كان مثراديتس الأكبر قد استقدمهم، ووطنهم حول مضيق البوسفور، وقاموا بأعمال تبشيرية واسعة بعد أن تشكلت مملكة الخزر في القرن السابع الميلادي، حتى أن ملك الخزر الخاقان بيلان (٧٨٦ - ٨٠٩م) كان قد تهود، وتهود معه أربعة آلاف من النبلاء، وتبعهم الكثير من رعاياهم، ولكن هؤلاء المتهودين احتفظوا إلى جانب يهوديتهم بالكثير من طقوسهم ومعتقداتهم الشامانية الوثنية البدائية، إلى جانب تصوراتهم التراثية المغولية - التركية، والمعتقد الشاماني يقوم على وجود عالم محجوب يعيش فيه الآلهة، والشياطين، وأرواح الأجداد، والشاماني فقط هو الذي يتكشف له هذا العالم المحجوب، وكان الخزر ذوي بشرة بيضاء وعيون زرقاء وشعر محمر، وقد دارت عدة معارك بين المسلمين والخزر منذ سنة ٦٤٢م، بعد أن أصدر عمر بن الخطاب أمرا بالهجوم على عاصمتهم (بالانجار)، ولكن المسلمين فشلوا في ذلك، واستشهد قائدهم سنة ٦٣٥م، وقامت حرب أخرى سنة ٧٢٢م، وانتهت سنة ٧٣٧م بهزيمة الخزر على يد مروان بن محمد، وحينها أسلم قائدهم خاقان الخزر، وأسلم معه الكثير من رعاياه، وهكذا أصبح الشعب الخزري يعتنق أربع ديانات، هي: الشامانية الوثنية وهي ديانة الجماعات الخزرية الأولى، واليهودية، والمسيحية، والإسلامية، وقد كان الجهاز القضائي الخزري يضم سبعة قضاة (يهوديان، ومسيحيان، ومسلمان، وشاماني واحد)، ولكن الأمويين الذين كانوا يعانون خلافات داخلية لم يستطيعوا القضاء على مملكتهم، وقد ارتد خاقان الخزر عن الإسلام، وبسبب الضغط الإسلامي تم نقل

عاصمتهم إلى (أتل) عند مصب نهر الفولغا، وبقيت مستقلة حتى القرن العاشر حتى استطاع أمير كييف سفياتوسلاف سنة ٩٦٥م من دحرهم وتدمير عاصمتهم أتل، وإنهاء تشكيلهم الإمبراطوري، الأمر الذي قلّص الوجود الخزري إلى أدنى درجاته، حتى سقطت المملكة الخزرية نهائيا على أيدي الروس في بداية القرن الحادي عشر، ويقال أن خاقان القصر في تلك الفترة اعتنق الإسلام كحالة تحالفية مع المسلمين، وفي النهاية جاء التتار في حدود سنة ١٢٢٧م بقيادة جنكيز خان، وقاموا بتشتيت الخزر نهائيا سنة ١٢٤٧م، حيث انتشروا في أوربا الشرقية، وخاصة في بولندا وليتوانيا وهنغاريا ودول البلقان، بعد خمسة قرون من تواجدهم السياسي، والذين قد بلغوا قمة مجدهم فيما بين القرنين الثامن والعاشر الميلاديين.

ويُعَدّ أغلبية يهود أوربا الشرقية من اليهود الخزر، وهم الذين، وبسببهم، تشكلت الصهيونية، التي استطاعت أن تنشئ دولة إسرائيل في فلسطين، والطريف ذكره أن الصهيونية تسوّق دولة الخزر إعلاميا على أنها هي القوة التي وقفت في وجه الزحف الإسلامي نحو أوربا، وهي التي حالت دون أن تطبق الكماشة الإسلامية على القارة الأوربية، وتمن الصهيونية على الحضارة الأوربية بذلك، والتي حسب رأيها أنه لولا دولة الخزر لكانت الآن أوربا قارة مسلمة ترزح في تخلفها، فاليهودية هي التي حمت المسيحية الأوربية من الإسلام العربي، وعلى المسيحية الآن أن ترد الجميل لليهودية وأن تناصرها في حربها ضد الإسلام في فلسطين.

أما في أوربا الغربية فقد كانت الجماعات اليهودية مشتتة، دون أي حراكية تاريخية لهم في الألفية الأولى بعد الميلاد، ومع بداية الألفية الثانية، وبسبب أخلاقيات اليهود السيئة، ولا سيما الاستغلال المالي الربوي، وتهمة الدم التي كانت تلاحقهم حيث حلوا، فقد عانت الجماعات اليهودية، ما بين القرن الثامن الميلادي وحتى عصر النهضة، من عدة أعمال اضطهادية من قبل السلطات الرسمية، ومن قبل الشعوب الأوربية، تم طرد اليهود من أكثر الدول التي عاشوا فيها، كما أن الدول جميعها كانت، بعد طردهم، تسن الأنظمة والقوانين التي تحرم عليهم الدخول إليها، ولكن التاريخ وأحداثه، وصروف الزمان وتقلباته كانت تعفو وتمحو هذه القرارات.

وقد تصاعدت الأعمال الاضطهادية الأوربية، المسيحية، عندما تصاعدت الروح العنصرية الدينية، واندخلت الروح القومية، مع الروح الدينية، وبرزت في تلك الفترة محاكم التفتيش الكاثوليكية التي كانت تقوم بملاحقة اليهود، ومعاقبتهم، لا سيما عندما كانوا يقومون بأعمال تبشيرية، وعلى الرغم من أن الكنيسة الكاثوليكية كانت تحاول على بقاء اليهود في سياق التصور الكاثوليكي لعقيدة الشعب الشاهد، لكنها عاقبتهم، وميزتهم، عن سواهم، بإجبارهم على ارتداء لباس خاص بهم، كما منعتهم من التواجد في بعض الأمكنة، ومنعت عليهم الزواج إلا بعد إذن مسبق، كما كان الأوربيون قد قدّموا بعض اليهود كقرابين حين اجتاح مرض الطاعون القارة الأوربية، حسب بعض الروايات، وعندما قررت الكنيسة الكاثوليكية تحرير أورشليم، وهيأت للحملة الصليبية الأولى قام الجنود الصليبيون، في سياق تصاعد التعصب الديني الأعمى، بتقديم بعض اليهود كقرابين، وقد قال بيير دي كلوني في سياق تلك الحملات {ماذا يفيدنا أن نذهب ونحارب المسلمين ونحن لدينا اليهود فيما بيننا، واليهود هم أفظع من العرب المسلمين}، وأنا أعتقد أن هناك إضاءة إعلامية على هذه النقطة، بحيث تم تصوير اليهود كما لو أنهم كانوا يقدَّمون كقرابين مسيحية تكفيرية، وربما الغاية من ذلك مقارنتها، ومساوقتها مع تهمة الدم، وتهمة (فطير بني صهيون) التي كانت تلاحق اليهود.

هذا تاريخ موجز للجماعات اليهودية في أوربا ككل، أما في كل دولة أوربية على حدة:

ففي فرنسا التي كانوا قد استوطنوا فيها، في العهد الروماني سنة ٢١٢م، قام فيليب الرابع سنة ١٣٠٦م بطردهم، وتم استرجاعهم ثانية ليقوموا بأعمالهم الربوية بعد فشل المرابين المسيحين، ولكن، وبعد أن ساءت الأحوال في فرنسا طُرد اليهود منها مرة ثانية سنة ١٣٢٢م، وأعيدوا إليها سنة ١٣٥٩م، وتم طردهم النهائي سنة ١٣٩٤م على يد تشارلز السادس، وفي نهاية القرن السادس عشر قَدِم إلى فرنسا يهود المارانو المتمرسين بأعمال التجارة الدولية، والذين منحوا كل حقوقهم المدنية بعد قيام الثورة الفرنسية، والتي يقال أن اليد الخفية اليهودية هي من كان وراء قيامها، وتعزز الوجود اليهودي بعد تسلم نابليون سدة الحكم، وتم الاعتراف باليهودية دينا، وأصبح اليهود مواطنين فرنسيين مع كامل حقوق المواطنة.

أما في إسبانيا التي كان اليهود قد وصلوا إليها في العهد اليوناني، والروماني، وقد تعزز وجودهم عدديا في عهد الأباطرة الرومان فيسباسيان، وتيتوس وهارديان، وكانوا من أغنياء شبه جزيرة أيبيريا، وكان لهم فيها نفوذ كبير، وكادت إسبانيا أن تصبح يهودية في عدة فترات تاريخية، وقد بدأت الحال تنقلب في القرن السادس الميلادي حيث خضعوا لبعض القوانين والأعمال والإذلال القاسي، وفي سنة ٦٨٠ مُنع اليهود من الختان، كما أنهم منعوا من رفع دعوة ضد المسيحيين، وقد أجبروا أكثر من مرة للاختيار بين التمسح أو النفي حيث بدأت إثر ذلك تتشكل طائفة الماران، وقد عادت الأمور وانقلبت بعد وصول العرب بقيادة طارق بن زياد إلى إسبانيا، فبعد أن كان اليهود يعيشون حياة رغد في ظل الدولة الإسلامية، فقد تعرضوا إلى أعمال انتقامية شعبية، وفي سنة ١٤٩٢م صدر مرسوم يخيّر فيه اليهود بين النفي والتعميد، وقد تنصّر على أثر ذلك الكثير من اليهود، وسموا بالمارانو، وعلى أثر ذلك أيضا أُقيمت محاكم التفتيش التي ارتكبت فظائعها المشهورة، وقد تم طرد قرابة ٢٠٠ ألف من اليهود، والذين استوطنوا ضمن أقاليم الدولة العثمانية، وتركزوا في مدينة سالونيكا، والتي كانت تعد عاصمة المارانو (الذين يتكلمون اللادينو)، إضافة إلى الأستانة والقاهرة، كما انتشروا في أوربا الوسطى (الدول البروتستانية)، و لا سيما في إنكلترا وهولندا تحت اسم السفارد، بعد أن كانوا قد طردوا من البرتغال في حدود سنة ١٤٨٠م.

أما في إنكلترا التي كان قد وصل اليهود إليها من ألمانيا وفرنسا، فقد تعرضوا أيضا في بداية القرن الثاني عشر لأعمال اضطهاد، ولكن بعد أن اعتلى العرش الملك جون (١١٩٩ - ١٢١٦م) تحسنت أحوالهم، ولكن أوضاعهم عادت للتدهور، وأثناء حرب البارونات (١٢٦٤ - ١٢٦٧م) ضد هنري الثالث تعرضوا للاضطهاد ثانية، ثم تم طردهم نهائيا من إنجلترا سنة ١٢٩٠م، ولم يعودوا إليها إلا في سنة ١٦٥٥م، وبدؤوا بالحصول بشكل تدريجي على حقوق المواطنة، الأمر الذي أدى إلى مزيد من الهجرة من دول أوربية نحو إنجلترا، التي بدأت تأخذ أهميتها كدولة عظمى، وقد انتشر اليهود كتجار في المستعمرات الإنكليزية، لا سيما في الهند والعالم الجديد، وبالتحديد في مدينة نيويورك، في الوقت الذي حققوا فيه اندماجا كبيرا في إنجلترا، وفي نهاية القرن التاسع عشر حصلوا على انعتاق وظيفي كامل، وبدؤوا يعتلون المناصب الوظيفية العالية، وكانت لندن أهم عاصمة عملت من خلالها الصهيونية.

أما في ألمانيا، التي كانوا قد وصلوا إليها في سياق المرحلة الرومانية، فقد كانوا ينعمون بحماية السلطة من السخط الشعبي عليهم بسبب أعمالهم الربوية، وفي سنة ١٢١٥م تم تحريم الربا، وفُرض على اليهود تعليق شارة خاصة بهم، ومع ضعف السلطة المركزية الألمانية تم عزل الجماعات اليهودية في الغيتوات، وخضعوا لأحكام قاسية، وفي تلك الأثناء طرح مارتن لوثر ضرورة تنصير اليهود، ولكن بعد أن انقسمت ألمانيا إلى مجموعة دويلات ودوقيات استرد اليهود دورهم المالي، وعادوا إلى ضعفهم بعد استرداد السلطة المركزية لدورها، وبعد الثورة الفرنسية وتأثير مفهوم المواطنة الذي بدأ يجتاح أوربا، حصل اليهود على حقوقهم المدنية، و لا سيما في عهد بسمارك، وفي ألمانية النازية تعرضوا إلى أبشع أنواع الاضطهاد الإنساني في سياق الحرب العالمية الثانية.

أما بالنسبة للنمسا فقد كان اليهود تحت حماية الحكام المنتخبين، وقد تم طردهم جميعا سنة ١٤٢١م، ولكن فردريك الثالث (١٤٤٠- ١٤٩٣م) سمح لهم بالعودة، ليطردهم ثانية ماكسيميليان الأول (١٤٩٣-١٥١٩م) واستمروا بين طرد من مقاطعات معينة، ودخولهم إلى مقاطعات أخرى، إلى أن بدأت أعمال الدمج في عهد جوزيف الثاني الذي أصدر سنة ١٧٨٢م براءة التسامح، وتم منح اليهود حقوقهم الكاملة، والذي أدى إلى هجرة واسعة من يهود اليديشية لينعموا بظل التسامح النمساوي، و لا سيما إلى مدينة فيينا التي منها انطلقت الحركة الصهيونية على يد هرتزل.

أما في هولندا، التي كان قد قَدِم إليها يهود المارانو (السفارد) من شبه جزيرة ايبيريا، فقد نعموا بحقوقهم المدنية، الأمر الذي جعل يهود الأشكناز يلجؤون إليها اعتبارا من سنة ١٦٢٠م، وكان لهم مكانة مالية كبيرة، إلى درجة أن سوق الأسهم كان يغلق في يوم السبت، الأمر الذي جعل من يهود هولندا الأكثر حداثة من بين يهود العالم، ولكن تدهور اقتصاد هولندا أدى إلى تدهور أوضاع اليهود أيضا، وكانت الضربة الاقتصادية القاصمة لهم بعد وصول القوات الفرنسية الثورية إليها، وهنا يجب التنويه إلى أن بعض اليهود الهولنديين الذي هاجروا إلى القارة الجديدة، شكلوا مقاطعة (سافاناه اليهود) سنة ١٦٧٠م في جمهورية سورينام في أمريكا الجنوبية، كما انتشرت بعض العائلات اليهودية في العالم في سياق تمدد، وانتشار الإمبراطورية الهولندية الاستعمارية التجارية.

أما في بولندا مركز ومصدر يهود اليديشية، أو يهود شرق أوربا ذوي الأصول الخزرية، والذين يشكلون أغلبية يهود العالم، ويحملون ثقافة ولهجة (ألمانية دخلت عليها كلمات سلافية)، فقد وصلوا إليها في القرن الثاني عشر من ألمانيا، وهناك تشكل الشتتل، وهو عبارة عن مجموعة من المدن، تضم كل مدينة ما بين ألف وعشرين ألفاً أغلبهم من اليهود، وكانوا يعملون لمصلحة النبلاء الذين كانوا يستغلون رعاياهم، وقد تعرض اليهود إلى بعض الهجمات الشعبية، وطردوا من وارسو سنة ١٤٨٣م، ثم تحسنت أوضاعهم ثانية في عهد الملك ألكسندر (١٥٠١- ١٥٠٦م)، ولكن ضعف سلطة الملك لمصلحة النبلاء، أصبح بعض اليهود تحت حماية النبلاء (الشلاختا) الذين كان محظوراً عليهم العمل بالتجارة، فكانوا يلتفون على القانون من خلال التجار اليهود الذين دخلوا معهم كشركاء ومندوبين، وكوسطاء، والنبلاء هم الذين سمحوا للجماعات اليهودية ببناء الشتتل الذي كان يسيطر على المزارعين في الريف من خلال اليهود الذين عملوا كوكلاء للنبلاء البولنديين، وكانوا مدعومين بفرق بولندية مسلحة (نظام الأرندا)، كما أن النبلاء سمحوا لهم ببناء المعبد اليهودي الذي قام بوظيفتين دينية من جهة،

وعسكرية دفاعية من جهة ثانية، وشكلوا فيها (نظام القهال وهي كلمة عبرية تعني الجماعة)، وهو عبارة عن شكل أو تنظيم خاص للغيتو، وكان نظام القهال يمثل مؤسسة دينية قضائية إدارية يهودية لها استقلالية نسبية، وكان دورها تنظيم الحياة الدينية للجماعات اليهودية، وقد تزايدت أعداد اليهود تحت ظل هذا النظام بحيث بلغ سنة ١٦٤٨م قرابة ٥٢ ألفاً، وكانوا يشكلون حينها أحد أهم المراكز الرئيسية لليهود في العالم، إلى جانب مركزهم المهم في الإمبراطورية العثمانية، التي انتشروا فيها بعد اضطهادهم من قبل محاكم التفتيش، و لا سيما من إسبانيا، ولكن هذا الوضع الوسيط الاستغلالي لليهود في بولندا جلب عليهم المزيد من الكره، والذي زاد من عزلتهم في الشتتلات، وقد أدت هذه التحولات والتذمرات والاحتجاجات في النهاية إلى انتفاضة بوجدان شميلنكي القوزاقي سنة ١٦٤٨م، والتي شملت البولنديين وأعوانهم اليهود الذين أبيد منهم عشرات الألوف، وانتهت تلك الانتفاضة باستقلال أوكرانيا عن بولندا، وهذا ما أدى إلى تدهور كبير وسريع في أوضاع اليهود الذين لجؤوا إلى معتقداتهم الدينية و لا سيما الخلاصية منها (المسيحانية)، وأفرزت تلك التطورات دعوة شبتاي تسفي (مؤسس يهود الدونمة) وظهور الحسيدية، وازدادت أوضاع اليهود سوءا بعد اقتسام بولندا بين الإمبراطورية الروسية والإمبراطورية النمساوية وألمانيا سنة ١٧٩٥م، حيث بدأ اليهود يفقدون ميزاتهم الثقافية منذ منتصف القرن التاسع عشر، بعد أن تم اندماجهم مع باقي اليهود، ومع المجتمعات التي عاشوا بين ظهرانيها، وقد هاجرت أعداد ضخمة من يهود اليديشية بين نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين لا سيما إلى فرنسا وألمانيا وإلى العالم الجديد (الأرجنتين وكندا) وجنوب أفريقيا، وهم الذين ساهموا في تشكيل رد فعل عنصري ضد اليهود في ألمانيا وفرنسا وإنكلترا، وهو ما أدى إلى ظهور وبروز الصهيونية كحل لمشكلة اليهود في أوربا، والتي برزت على أثر دخول يهود اليديشية إلى أوربا الغربية بالخاصة.

وبعد دخول نابليون بولندا سنة ١٨٠٧م، فقد منحهم حقوقهم المدنية أسوة بالجماعات اليهودية في فرنسا، وقد بدأ ينتشر بشكل تدريجي حس المعاداة لليهود في أوربا بشكل عام، وقد تحسن وضع اليهود نسبيا بعد انطلاق الحرب العالمية الأولى، بعد أن أُحتلت بولندا من قبل الألمان الذين اعترفوا باليهود كطائفة دينية لا عرقية، وما بين الحربين العالميتين توحدت بولندا ثانية بكل أقاليمها بحيث أصبحت أكبر تجمع يهودي في العالم، وقد وقّعت بولندا سنة ١٩١٩م على معاهدة الأقليات التي أعطت اليهود حقوقاً مدنية واسعة، ولكن انقلاب الحكم سنة ١٩٢٦م، واستيلاء جوزيف بيلسودسكي على الحكم، عاد بالسوء على الجماعات اليهودية، وقد أدى الفكر القومي البولندي المتطرف في تلك الفترة إلى تطرف فكري متزامن من قبل الجماعات اليهودية، وظهرت جمعيات تسيطر عليها الصهيونية على أساس فكر ديني عرقي كان لها ثقل سياسي كبير، كما ازدادت الحركة التدريسية باليهودية (العبرية) واليديشية، وكان عدد اليهود سنة ١٩٣٩م أكثر من ثلاثة ملايين ونصف يهودي، حسب بعض التوقعات الإحصائية، قبيل انطلاق الحرب العالمية الثانية، والتي أدت إلى تقسيم بولندا ثانية بين الاتحاد السوفييتي وألمانيا، وما تبقى منها فكانت خاضعة لحكومة عامة تابعة لألمانيا، وقد كان الحكم النازي شديدا على اليهود، حيث فرض عليهم أعمال السخرة وصادر أموالهم، إضافة إلى تأسيس غيتو وارسو، الأمر الذي جعل اليهود ينضمّون إلى المقاومة البولندية المناوئة للنازيين، ومع نهاية الحرب العالمية الثانية كان عدد اليهود في بولندا ربع مليون، وقد هاجر منهم ١٤٠ ألف إلى إسرائيل بين سنتي ١٩٤٨ - ١٩٥٨م انظموا إلى ١٧٠ ألف كانوا قد هاجروا إلى فلسطين قبل هذا التاريخ، ليشكلوا هناك

القيادة الإسرائيلية السياسية (بن جوريون - بيجن - شامير - بيرس)، وأما ما تبقى من يهود بولندا فقد هاجروا في مراحل لاحقة إلى الولايات المتحدة، ولم يبق في بولندا سوى ٦٠٠٠ يهودي.

أما في روسيا التي وصل إليها اليهود في القرن التاسع الميلادي بعد توسع المملكة الخزرية في وادي الفولغا، ولم يختلف تاريخ الجماعات اليهودية في روسيا عن سواها من دول أوربا، فقد كانوا مرفوضين شعبيا، وكانت أول عملية طرد تمت لهم على يد حاكم روسيا إيفان الرهيب، ثم صدر فرمان سنة ١٧١٩م منع على اليهود أن يمارسوا نشاطات تجارية خارج روسيا البيضاء، وبعد تسلم الحكم من قبل الكسندر الأول (١٨٠١ - ١٨٢٥م) أصدر سنة ١٨٠٤م (قانون اليهود الأساسي أو دستور اليهود) الذي منحهم بعض الحركة والحرية في بعض الجوانب، وقيدهم في بعض الجوانب، أما التغير الرئيسي الذي حصل لليهود فكان بعد أن اعتلى العرش نيقولا الثاني (١٨٢٥ - ١٨٥٥م) الذي طبق على الجماعات اليهودية سياسة الدمج الإجباري (التترويس)، وفرض عليهم الخدمة العسكرية سنة ١٨٢٧م، وكان أثناءها عدد اليهود قرابة ثلاثة ملايين، ومع اعتلاء العرش من قبل الكسندر الثاني (١٨٥٥ - ١٨٨١م) خففت القوانين والأنظمة التي كانت تقيد حركة اليهود، الذين كانوا متجمعين ومجبرين على البقاء والالتزام في (منطقة الاستيطان)، وهي منطقة تمتد من ليتوانيا إلى البحر الأسود، ومن بولندا إلى روسيا البيضاء، وكان لا يسمح لليهود بالعيش خارجها، وفي عام ١٨٥٦م تمت مساواة الجماعات اليهودية مع سواهم، وكانت الجماعات اليهودية تعاني حالة فقر، وكانوا مرفوضين شعبيا، لا سيما وأن التعالي السلافي كان يثير حفيظة (شعب الله المختار)، وفي النهاية جاءت عملية اغتيال الكسندر الثاني سنة ١٨٨١ من قبل الثوريين الروس، والتي اشتركت فيها فتاة روسية أخذت شهرة واسعة، وجرّت على الجماعات اليهودية أنظمة وقوانين قاسية صدرت في مايو (قوانين مايو) بعد أن اعتلى العرش الروسي ألكسندر الثالث (١٨٨١ - ١٨٩٤م) وهذه القوانين عادت وحددت حركة اليهود ثانية، ومنعتهم من إنشاء المستوطنات خارج منطقة الاستيطان، وقد بلغ عدد اليهود سنة ١٨٩٧م قرابة خمس ملايين، بنسبة ١١,٦% من مجموع السكان، الأمر الذي أدى إلى حفاظهم على يديشيتهم، وأدت هذه القرارات إلى دخول الشباب اليهودي في التنظيمات الثورية، وانضم الكثير منهم إلى الحركة البلشفية، وبدأت هجرة يهودية واسعة من روسيا، بحيث هاجر بين سنة ١٨٨١ و ١٩١٤م نحو مليون يهودي، وترافقت هذه الأحداث مع بروز الفكر والتنظيم الصهيوني، الأمر الذي أدى إلى تدويل المسألة اليهودية، وفي عهد نيقولا الثاني آخر القياصرة الروس (١٨٩٤ - ١٩١٨م) تشكلت عدة جماعات إرهابية كانت تناصب اليهود العداء، ووقعت تحت

هذه العدوانية مذبحة كيشينيف سنة ١٩٠٣م، الأمر الذي أضاف إلى عوامل متعددة دواعي يهودية للهجرة من روسيا، قبل الحرب العالمية الأولى، وبعد انتهاء الحرب لم يبق في الاتحاد السوفييتي، التشكيل الجديد لروسيا، سوى مليونين ونصف المليون، وبلغوا ثلاثة ملايين عند انطلاق الحرب العالمية الثانية.

ومنذ استلمت الحكومة البلشفية الحكم في الاتحاد السوفييتي تمت مساواة الأقليات، ومنهم اليهود، مع الجميع، كما شجع البلاشفة في زمن لينين على انتشار ثقافتهم اليديشية من خلال الصحف اليديشية والمسرح اليديشي، وقد أنشأت لهم مستوطنة بيروبيجان الزراعية كمقاطعة لها استقلاليتها، ولغتها اليديشية في شرق سيبيريا بمرسوم صدر سنة ١٩٢٨م كمحاولة لتشتيت الأفكار الصهيونية، وخُصصت لتوطين اليهود فيها تحت اسم أو صفة (مقاطعة يهودية ذات حكم ذاتي)، وقد عارضت الصهيونية هذا المشروع، وكان تعداد اليهود فيها ٢٠٠٠٠ نسمة كانوا يمثلون ربع تعداد سكان المقاطعة (٢٤%)، ولم تحقق هذه التجربة في النهاية النجاح المرجو، وكان البلاشفة يتطلعون في حال نجاح هذه التجربة، وفي حال استيطان العدد الكافي من اليهود فيها، أن يجعلوا من تلك المقاطعة جمهورية مستقلة ضمن التشكيل الاتحادي، كما فشلت أيضا تجربة أوكرانيا وشبه جزيرة القرم الاستيطانيتين، وبعد تعمق نظام الحزب الواحد في الاتحاد السوفييتي، ألغيت الحركات اليهودية (حزب العمال اليهودي - البوند - وعشاق صهيون)، وبعد الحرب العالمية الثانية، ومع تطور الستالينية ساءت أحوال اليهود أكثر مما سبق، بخاصة بعد اعتبار اليهود (الأخلاط مقطوعي الجذور) الذين يشكلون عقبة أمام تقدم الاشتراكية، وما أضاف من كره ونقمة الشعب الروسي على الجماعات اليهودية في الحرب العالمية الثانية تأثير الدعاية النازية التي كانت تقول إن هذه الحرب هي مؤامرة يهودية، وأن الشعب الروسي يقاتل لمصلحة اليهود.

أما في أوكرانيا فقد وصل إليها اليهود في القرن التاسع الميلادي بعد توسع مملكة الخزر، ولكن التواجد السياسي لهم كان في منتصف القرن السادس عشر بعد هيمنة بولندا عليها، وقد تم توظيف اليهود كطبقة وظيفية تعمل لمصلحة النبلاء البولنديين، ولما انتشر القوزاق في المنطقة، حرّموا على اليهود العمل كوكلاء ووسطاء، ولكن عودة هيمنة البولنديين على القوزاق ألغى هذا القرار، وفي سنة ١٦٦٧م تم تقسيم أوكرانيا بين بولندا وروسيا، وكان الجزء من أوكرانيا التابع لروسيا منطقة استيطان يهودية، وقد تعرض اليهود فيه إلى عدة مجازر يقال أنه قتل فيها ٦٠ ألف يهودي، ولكن في سنة ١٩٢٠م تم ضم أوكرانيا إلى الاتحاد السوفييتي حيث تمت تصفية التنظيمات الأوكرانية المعادية لليهودية.

ولم يخرج تاريخ الجماعات اليهودية في باقي الدول الأوربية عن السياقات السابقة، فقد كانوا دائما يتعرضون فيها للطرد، ولبعض الاضطهادات الشعبية، كما هي الحال في ليتوانيا التي طردوا منها في بداية القرن السادس عشر الميلادي، وكذلك في رومانيا.

أما في جاليشيا التي كانوا فيها يعملون بالربا والرهونات، وكانوا أصحاب الفنادق الصغيرة والتي كانت تقوم بدور تجاري أيضا إلى درجة أن مدينة برودي التي كانت على طريق تجارة الترانزيت بين تركيا وروسيا كانت تدعى أورشليم، وقد تميزت الجماعات اليهودية في جاليشيا بتفكك الأسرة اليهودية مما جعل اليهوديات الجاليشيات أهم بغايا ذلك الزمان، إضافة إلى تشكيلهم أول لوبي يهودي (من أعضاء الهيئة البرلمانية) في أوربا سنة ١٩٠٧م.

أما في رومانيا فقد حققوا فيها بعض الاندماج، لا سيما بالنسبة للذين كانت أحوالهم المادية جيدة، وعلى خلاف دول المعسكر الاشتراكي سُمح لليهود الرومانيين بالهجرة إلى إسرائيل بعد قيامها.

أما بالنسبة لبلغاريا، فقد ازدادت معدلات الاندماج والتنصر والزواج المختلط، وبالتالي الانصهار في المجتمع، وهو ما دعوه (بالهولوكوست الصامت) عند الجماعات اليهودية، وزادت نسبة الأطفال غير الشرعيين والانتحار أيضا، وهي الأوضاع التي تفتحت عيون مؤسسي الصهيونية (هرتزل وماكس نوردو) عليها واللذين ولدا في بودابست، وفي سنة ١٨٩٥م تم الاعتراف باليهودية كدين من قبل الدولة، ولما خسرت المجر في الحرب العالمية الأولى، استولت المعارضة على الحكم، وعين في المجلس القومي ١٤ يهوديا من أصل ٢٧ هم أعضاء المجلس القومي، وكان في الحكومة وزيران يهوديان، وفي سنة ١٩١٩ أعلنت الدولة المجرية الشيوعية، وقد احتل في الحرب العالمية الثانية النازيون المجر، وتم عقد الصفقة الشهيرة (الدم مقابل السلع) بين الصهيونية من خلال رودولف كاستنر الذي خدع يهود المجر، وسهل نزوحهم وترحيلهم إلى معسكرات الإبادة النازية، مقابل السماح لترحيل بعض اليهود إلى فلسطين.